

ينخدع الامام باقوالهم فقاموا له خدساً يدعى المهدي الذي ياني حرت بينه وبين يحيى
 بعض المناوشات ثم اصطالحا على مقاومة الاثراك
 فأرسلت من الاستانة قوات جديدة الى اليمن وحصلت عدة معارك من السنة
 ١٩٠٩ الى ١٩١١ أصيب فيها اليمنيون ببعض الخسائر . ثم دُعي الامام يحيى مع
 قومه الى الجهاد في الحرب الباقائية فرضي به وتهدد بالرسال ١٠٠,٠٠٠ جندي للدفاع
 عن حوزة الاسلام على شرط ان تعترف الدولة باستقلاله فوعده خيراً وتقرّب الى
 الدولة لكن الحرب البلقانية انتهت قبل ان ينتجز بوعده
 ثم أعلنت الحرب العمومية الاخيرة فسحبت الدولة العثمانية جيوشها من اليمن
 لحاجتها اليهم وبقي الامام يحيى آمناً في بلاده . فسعت لديه الدول الاتفاقية وطلبت
 منه الحياد وبُعثت اليه تركية واحلافها وراعت له خاطراً في حكمه على بلاده
 مستتلاً لكن الامام اصرّ على ثباته في ولاء تركية . وذلك في السنة ١٩١٧ وقد
 استولى على تنفذه من ثغور الخليج العربي . ولم يلبثنا بعد الهدنة خبر عن شؤن
 تلك الجهات (له صلة)

زجلية في وصف الغلاء والجوع والضيق

منذ مائة وثلاثين سنة

نشرها بحراش وهدمة الكاتب المتفنن عيسى اسكندر الملوف صاحب مجلة (الآثار)

بعد مرور ثلاث سنوات على الحرب الضروس ومشاهدة ما تشيب له رؤوس
 الاطفال من اموالها وقع لي توافق غريب . بينا كنت ابحث بين مخطوطاتي مستقراً
 الحوادث السالكة وما قيل فيها عثرتُ بينها على سفينة وهي دفتر مستطيل قليل
 العرض فاذا فيه زجلية كأنها نُظمت لهذه الايام منذ ذلك العهد البعيد واليك الآن
 وصف هذه السفينة :

هي دفتر بطول نحو عشرين سنتيمتراً وعرض عشرة سنتيمترات يقع في ٧٨

صفحة على ورق صفيق ويخط كنيّ جميل كُتب في العشر الأول من القرن التاسع عشر للميلاد وفيه المواضيع الآتية :

١ زجلية في وصف حوادث جبل الدروز (الشوف) سنة ١٢٠٥ هـ (١٧٩٠م) تقع في ١٨ صفحة لناظمها ابي ابراهيم درويش بن مرعي القاري المنتسب الى قرية قاره في جبل القلمون وفيها تفاصيل غريبة لحروب تلك الايام ولاسيما الثورة الوطنية في الشوف والمث

٢ زجلية في وصف الفلا. والجوع والضيق الذي حصل سنة ١٢٠٦ هـ (١٧٩١م) بعد مرور ثلاث سنوات على اضطراب لبنان وضواحيه ولم نعرف اسم ناظمها ولكن يظهر من امره انه لبناني مسيحي من قضاء الشوف من جوار دير القمر او منها

٣ اشعار وتغنيات وانشيد مختلفة بينها ما هو من قلم الثمّاس زخريا والتمّاس ابراهيم الطيب الحناكي والتمّاس مخايل بروساوية والخورى مخايل البجع الحلبي والتمّاس نعمه اخوري توما والخورى نقولا الصانع ويوسف اليهودي وغيرهم مع تحاميس ومدائح لشعراء مجهولين وعلى الجملة ان هذه المجموعة كثيرة الفوائد رشيقة النظم مختلفة المواضيع بين دينية ومدنية وازجال واشعار وانشيد

حوادث الزجلية المنشورة الآن

هي وصف لما حدث في مطلع القرن الثالث عشر للهجرة وختام الثامن عشر للميلاد ايام نشوب اخلات بين الامير يوسف الشهابي حاكم لبنان وابن شقيقه الامير بشير الكبير والقاء الجزّار الفتى بينهما على حد قول الامير بشير لمتّه لما انتدبه سفيراً له لدى الجزّار في عكا. وهو : " اخشى ان اذهب ابنتك واعود ابن الجزّار " فكان كما قال . وكان من اشدّ الفتى اذ ذلك ما حصل بين الامير قايس حيدر الحرمشي وابن عمه الامير جهجاه مصطفى في حكم بعلبك واستفحال الخلاف بينهما وحاربتهما وقتل الامير قاسم ثم اشتداد الحسام بين امراء لبنان فما قامت له البلاد وقدمت وانتشرت الفتى في ضواحيه ولاسيما في الشوف والمث وسيادة القوضى

والسمائل مما خرب بعض المدن وقضى مجلاء النصارى منها فكانت فتنة بيروت بين فارس الدهان والي عسكر يونس نقولا الحلي حتى أقفلت ابواب المدينة وهرب النصارى منها وبقيت عقاراتهم ثمن الالف بمائة غرش . وانتقام الامير بشير من خصومه بتشديد الطلب للضرائب والوزائع منهم وجنح المال بواسطة مدبريه فارس نصيف الجزيني وجدعون الترك الذي وتقدميهما للجزار . وما كان من شرارات الثورة الفرنسية في الشرق وتفشي الطاعون الجارف في القطر المصري وفتنة المالك وقتل كثير من الامراء والمدبرين شتاً وإرهاقاً وفصلاً قطع رأسه واحراق المنازل وقطع الاشجار حتى اشتد القلاء وكثرت المصادرات وقتل الأمن وزادت قيم القود الى مثل ذلك من التكبكات والصكوات التي ذكرها المؤرخون . لكن ناظم هذه الزجلية المشورة اليوم قد صورها لنا بأسلوبه العامي الرشيق وحسن استقراره للحوادث وذكر تأثيرها في النفوس احسن تصوير لم نجد مثله في ما قرأناه عنها . ولا تأثرنا بملك الاخبار على كثرة ناقلها تأثرنا من هذه البلاغة الوصفية

وهذه هي الزجلية كما وردت بالحرف

هذه الابيات قالها احد الأدباء واحفظها احوال هذه السنة وما حدث بها من الضيق والقلاء والجوع الصارم الشديد :

أبداً أقول في بيوت جدادٍ واشهرها في كل البلاد
 رثوا لحالي يا أجوادٍ قلبي تعنى ودمعي زاد
 قبل الآن كان لي قيسٌ وكل مقدار حبه عزيمه
 وبدي سمحه وكريمه واحبائي نحوي تنقاد
 والآن انبدلت حالتنا وزالت لنا نعمتا
 وايضاً قلت قيمتنا زادت في قيسه شجاذ
 سنة مائتين . الف وسنه ١) اخذت مد الخطه بسنه ٢)

وكان بزمان جدي وسني باعوا بزلطه (١) سبع مداً
 ما يكفى ما صار فينا هذه السنين هفينا (٢)
 يا ربي الطف فينا نحن عبيدك يا جواداً
 كنت محصد (٣) لي كم غرش وكانوا كرومي مثل الحريش
 وسكفي بيتي مورنه وفرش وكسره مليحه تياب جداد
 مر علينا ثلاث سنين وثلاثهم ملعونين
 بلص (٤) وحرب وجوع مكين وهذه هي ضربات شداد
 اسمع ما صار من سنتين بلصوني بالف ومايتين
 وغالبها قد كانت دين يا ليت جدعون آغا (٥) باذ
 ماذا اخبركم عنه يا ما قاسينا منه
 كل الناس بتلعنه حتى الرهبان والعباد
 وعام الماضي (٦) كان حروب ومن الدوله قلبي (٧) متعوب
 فارس ناصيف (٨) المفضوب يلبه ربي بالانكاذ
 وهذه الايام قد حطت على هاتيك وقد وطت (٩)
 وطبول الجوع لقد غطت على نايات (١٠) ذاك الميعاد

(١) الرلطة عند العامة ثلاثون مصرية (٢) مئتا جوعاً (٣) مؤقر

(٤) المصادرة بالمال (٥) هو جدعون آغا الترك مدير الامير بشير الشهابي

(٦) يريد سنة ١٣٠٥ هـ (١٧٩٠ م) التي كثرت فيها ربي ما قبلها الفتن بين الامير

يوسف والامير بشير والامراء الخرافة وازراء وادي نتم قتل كثير وصودر الآخرون واشتد

النلا وكثر الطاعون في مصر وكانت الحروب في قرنة شورشها انه وقد وصفها احد الرجاين

كراً مر في المقدمة مطولا (٧) في الاصل اقبل

(٨) يريد فارس ناصيف الجربني الذي كان من مدري الامير بشير الشهابي ايضاً

(٩) تقول العامة (حط ووطى عليه) اي ترل به او زاد عليه ونحو ذلك

(١٠) من اساليبهم «اجا الطبل غنى عالني» يعني زاد في الطين بلة او في المتصور نعمة

راح زمان وجاني زمان ضيق سكوت الدكان
وبعد روت (١) القدان وبعت السكه للحداد
ايام سودا مثل القير والمونه خلصت بكير (٢)
ولولا القره والجرجير (٣) كنا صرنا بارض زواد (٤)
حائنا حارت عبره من الموت على وجهي عبره
وكانت كسره بلا عبره تفهنا قولي يا اسياد
عيسى سيف (٥) مفهوم الجوع في فكري صاير مطبوع
وقلي من جوره مطبوع وحاصل في كل الانكسار
كان عندي حالوش (٦) وفاس وطنجرتين ودست نخاس
فبعت الكل من تلافلاس حتى النرشه واللباد (٧)
آها من ديق (٨) الاوقات من عززي بعت القروش
عيله كبيره خمس بنات وأمراتي مع خمس أولاد
سم أمراتي زاد اخير السنه ولدت زال اخير
صاروا شه يا أهل اخير ونحسي يزود عددهم زاد
اين التزييات والكيف (٩) قد لاشاهم عيسى سيف
ما تسمع إلا يا حيف (١٠) من شان الله داد مداد (١١)

- (١) عند العامة بمعنى باع (٢) القير الزفت، وخاصت بنى شدت وبكيراي (باكرأ)
(٣) من النباتات التي تكون على شاطئ المياه او في بحرها وهي تكثر في لبنان
(٤) بقي الاسراء اللامعون ان جزيرة ازواد قصاصاً لهم فغزب المثل عند اللبنانيين جا
نيمد او التحقير (٥) فكبر العامة عن الافلاس والجوع والضيق باسم (عيسى سيف)
(٦) الخالوش منجل الحصاد (٧) هو ساط صوفي ملبس (٨) اي ضيق (بالابدال)
(٩) الكيف عند العامة بمعنى الانبساط والسرور وكسب الرجل اذا سر وخامسة اذا
شرب وطرب (١٠) يحيف كلمة توحش عند العامة
(١١) داد مداد انشبا مختلة من قولهم: (داد مداد) عند الاستنائه

وبطلنا كل الاشتغال وحصلنا على هذه الحال
ورطل الخبز يباع بريال (١) اسمه خبز ولونه سواد
وبطلت القرضه والدين ما عادوا يعطوا قرشين
ومن يوجد عنده مدين خناهم في هذا المياد
وتعطّل شغل التجار وباع القدوم والتشار
والحاكك ثم البيطار باعوا الآلة والإعداد (٢)
والصايغ ثم المطار والبايع ثم الجزار
والصباغين والتجار والقرداحي (٣) والحداد
والمقادين والطباغ والشرابين والبايع
والغاية كل الصنائع حصلوا في سوق الأكساد
وبطلت كل الكيفيات ومعها جميع التزيينات
لا فيه عرس ولا عزيمات (٤) فكل شي من هذا ما عاد
وارتفعت كل الاسعار جوع وضيق مثله ما صار
كثيرين ماتوا باستار (٥) لما عدموا اكل الزاد
اخذت لولادي رطل طحين فول وكرسته ورزني
بصريات خمسة وستين وعجناه فشي (٦) ما زاد
وخبزناه بلا تنور وحطينا للباب ناطور (٧)
ما كفانا نصف فطور وكان غايينا ابني عماد (٨)

(١) الريال في عرفهم غرش ونصف (٢) أي المدة والادوات

(٣) القرداحي هو الحداد الذي يشتغل بالمبرد وبالسلة وامل القين تؤدي منهاها. ويقال

القرداحي على نسبة التركية ايضاً (٤) جمع عزيمة بمعنى دعوة الطعام

(٥) كلمة « يا ستار » للرحمة بمعنى يا الله يا سائر

(٦) فشي المجين رغوّه اذا اتبر وانتفخ (٧) حارس وحافظ وحاجب

(٨) غايينا اي غائب منا وخص ابنه هذا بالذكر لانه الاكبر فهو يا كل اكثر من اخوته

شموا ومجئنا الجيران ١١ ان شافوا الدخان
اتونا قالوا اعطونا احسن او عيرونا بغير ردا ١٢
قلت لهم نخنا ساكين الآن اولادي عريانين
قلعوا ثيابهم الوسخين اعمال نفلي بالقدر رماذ ١٣
اخذت حذق نصف وقته بجحني وبجتي ٣ بشاهية ٤
عشر دراهم بخرية خمسين حبة بالتمداد
ولم يبق للرز وجود والبرغل ايضا مفقود
ورطنا القول بخمس عدود ٥ اخضر عن اء يا جواد
والحال نصف وقته شامي ٦ انباع بخرية
ولمخ اخذنا ثنيه ٧ بعشر محاري بالف جهاد
وجنس الحلو فصار مطلوب فلا يوجد غير الخرنوب
الزحل يزلله يا حبوب اكلت وقته صار لي سداد ٨
وتسكرت صيدا وبريوت ٩ وما عاد يخرج منه قوت
وتيقنا اننا نموت جوعاً من قالة الزاد
من القالة نحن هنيئا وتربطت ايادينا ١٠
ولم ان ضاقت فينا قلنا نروح لغير بلاد
سألتنا عن حالات الشمل قالوا ما فيه جنس طعام

- ١١ اي سون ان نعيد اليكم الادرة
١٢ في هذا الاشارة الى تشد من وجود ما يباع عنده واد عدم وجود الصابون للنس
١٣ هو ثوبه بالزاد ٣ هو قديم عندهم يعني ينجق نصبي وقسي
١٤ الشاهية قيمته ثلاث بارات وبت ارة
١٥ المذخس بارات وجمها عدود ١٦ كن الوزن الشامي غير الوزن الحالي واللباني
١٧ مكياي هو شمس اي نصف رء المد ١٨ مرض يسمى ريع السدد
١٩ اي جروت حرفها للوزن ١٠ تربطت الابدني اي انقطعت عن العمل والسمي

الاكل حشيش بغير إدام (١) ولم فيها ماتوا سياد
 قلنا نروح لبلاد حوران قالوا هذا كلام جنان (٢)
 التبن يبيعوه بالميزان ونحن على ذلك شهداء (٣)
 قلت وعسكا يا اخيار ماذا عنها من الاخبار
 قالوا بليلة الجزار (٤) وكل ساءه رايات (٥) جداد
 قلنا بهابك يا اصحاب قال لها ستين خراب
 لا غلات ولا اكساب (٦) وجهجاه غير ممكن ينكاد (٧)
 قلنا حمص وقراها كيف قال قاطعهم عيسى سيف
 بزمان الحثير لم يقرروا ضيف ولن يوجد فيها اجواد (٨)
 قلنا نقطع لارض حماه وناكل من هناك كاه (٩)
 قالوا رايتك ما قبلناه تموت الجوع بغير ميه د
 وطرابلس لا تطربها (١٠) فليس سيف هانيب
 من يومين كئنا فيا فلن يوجد غير الكباد (١١)
 قلنا وبلاد البترون قولك فيها كيف يكون
 قالوا لا شك انك مجنون ما فيها غير معزي وسواد (١٢)
 قلت فم وبلاد جبيل قالوا بتلاتين الكيل
 والناس حالتهم بالويل وذاك بلاد وهذا بلاد

- (١) الادم اللحم والزيت والسر ونحوه (٢) جنون (٣) شهود
 (٤) يريد ان القاس الشهية باقية هي دالة مخمرة تقطع اثراس
 (٥) جمع واوي اي آراء (٦) اي ارباب
 (٧) اي ان الامير جهجاه الحرفوش لا يقا (٨) لا تناله اذا نغامل النامه في المصيين
 (٩) الكم لانه يكثر في تلك الجهات (١٠) اي لا ناصدنا ولا نطرها بالث
 (١١) لكثرة حدائق النخيل والبردقان فيها
 (١٢) تكثر الماعز في بلاد البترون لكثرة اشجارها وغابها والسواد عر اسود

قلت علينا باستبول قال لاشك انك مهبول ١)
 ما حابر لك اكلة قول فاين الزوادة والزاد
 اوفق لك سكنى بلادك ويتبعوا لك اولادك
 وفيهم بتال مرادك ويفرجها رب الاعداد
 رأيت ان هذا راي نصيح كلام محبه وقول صحيح
 منقضيها ٢) وحيش ومليح من البور حتى يصير حصاد ٣)
 وغير الملح ما عدنا نموز ونصف وقية زيت بكوز
 وبلاهم ٤) ايضاً بيجوز على اكل الخنصره ٥) نعتاد
 ولما حاق فينا الافلاس عملت لولادي خمس اكياس
 وطلبنا صدقات الناس وصرت ابرم ٦) مثل الشحاذ
 رحنا قصدنا دار المير ٧) وكان رجانا فيه كبير
 بالجهد عطونا رغيف شعير وقالوا دوحوا بغير طراد ٨)
 قن ترجهننا المدير ٩) انا وامراتي لا غير
 قلنا الرهبان عمالين خير عطوني طلبه وقالوا بماد ١٠)
 وقصدنا بيت الاصحاب بوجهي قاموا غلقوا الباب
 فصرنا ابكي ودمعي تسكاب على ذلك ما انا ممتاد
 ولم يوجد من يعطينا ولا من يشفق فينا

- (١) اي يحل الثور ويقولون ابل وبله ايضاً ولماها تحريف (جاول)
- (٢) منقضيها اي صرفها بجاني الرخاء والشدة
- (٣) اي من قبل التلاحة للزراعة الى ان يصير حصاد المزروعات
- (٤) بدوخه (٥) البقول والمشير ونحوها (٦) ادور
- (٧) الامير بشير الشهابي الكبير (٨) بدون طرد
- (٩) ايضاً خبر القصر التي كن فيها رهبان دير انثة او لدير بجاور كسبتى ونحوه
- (١٠) انصاحه الرغيف المتدير انسيك . وبماد يعني امد

حتى من الجوع هفينا وكل يوم الضيقه ترداد
 اشتد الجوع وزاد الضيق وما عدنا نعرف لصديق
 كم ليله غنا على الريق (١) وما عرفنا بالليل رقاد
 تحقيق لي عشر ايام لم يدخل في في طعام
 أما هذا يا ربي صيام فتربنا نحو الاعياد
 ومن عشرين يوما وينيف على حظي ما كسرت رغيف
 من الجوع صار جسي نحيف وضعفنا ارواح وأجساد
 وضامتنا هذه التله وفي بيتي ما فيه غله
 فصرنا نشأتا للدها تكون مجبوزة خبز جهاد (٢)
 آه على اكلة لبنه وعشرين كبه محشه
 واتعشى عشره هنيه قبل ان اتزل بالاحاد (٣)
 هذا بطلب من ربي يرزقي اكلة كبه
 من البرغل ما فيه جنبه فشوات قلبي عني بعاد
 صرنا ندور في البريه من بكره لعند عشيه
 ناكل عشب وفدريه ولجل وخيزه ورشاد (٤)
 من جدق اثنا منعيش وغدانا وعشانا حشيش
 بيض حليب وجبن قريش موجود لكن في بغداد
 تشوف الناس مثل القطعان في البريه والوديان

(١) على الريق اي بدون طعام

(٢) الله معروفه وخبر جهاد اي عصف بالشمس دون ار

(٣) اي ما تنبور

(٤) الفدريه هي المروقه عند حضرة الامام فاسم بالنصون وهي يونيه محرقه مرجا لان التور ويسوتها كذلك في لبنان اجنأ . والرشاد بقة معروفه

كل واحد عامل شقان ١) نسا ورجال بنات وولاد
 وصاروا من ديقة الاوقات ياكلوا من لحم الحشرات
 ولحم الزحف والحيات والقنفذ من غير اقياد ٢)
 وكثيرين من ديقتهم والجورع انبدلت خلقتهم
 تراهم رقت نفستهم بما قاسوا من الاجهاد
 بعلمك كانوا اولادي ملاح وخلقتهم مثل التفاح
 قد صاروا شبه الوحوش ٣) اذا رشيت عليه رماد
 وقد ماتت بنتي مرجان وتاني يوم ابني رضوان
 قبرناهم من غير اكفان ولحقتهم أمراقي (زاد ..)
 وتبقي اربع حبيبان عماد وايوب مع سرحان
 وخمس بنات وسليان جملة تسعه بالتعداد
 هذا الضيق مثله ما صار يتصر ولا كل الاقطار
 ولا يزمن ايلى البار ولا جا في تهد الاجداد
 فلم خاقت اخلاقي كتبت اقوالي باورقي
 وشيرين للبدر باقي لا بد يفرجها الجواد
 هذه السنة ارخانها ومحايتها شرخانها
 وفي الدفتر سطرناها ليقروها اولاد الأولاد

نات

- ١) الشقان تني البائة ونحوها الى الاعلى ليوضع فيها شيء. وهي من عادات نساء العرب
 يوم وعمر محرم التبركان وهي الجبال المشبكة كالجواني يجمع فيها الحشيش ويحبل
 ٢) الزحف عندهم بمعنى السلاحف ونسب ايضا الجارية عند العامة . ومن غير اقياد
 اي بدون مانع
 ٣) الوحوش عند بعض العامة بمعنى الشيء المصفر كالحجر والنبات